صالح الرجال

فى أعطاء حق الانتخاب للنساء

بؤس المرأة العاملة يلفت اليوم نظر الرجال الغيورين ، الذين بدأوا يشعرون بأنه فى البلاد الراقية التى فيها حق الانتخاب مطبق تماماً ، لاأهمية ولا وجود لمن لايصوت . وأن السلطات العامة لاتهتم مطلقاً بالمرأة ولا بترقيها مادامت المصلحة السياسية المباشرة غير موجودة . وأن الصدقة والانسانية وان كانتا تلطفان الحالة الا أنهما غير كافيتين بالمرة ، وأن الطريق الوحيد العلمى والممكن تحقيقه بسرعة لخلاص المرأة الحديثة من الاضطراب الذى تخبط فيه هو أن تعطى حق الانتخاب

على أنه فى مسألة كهذه يصح للرجال أن يتساءلوا بحق ليعرفوا أن واجب العدالة يتفق هنا مع مصالحهم الحقيقية

واننا لنشاهد فى المجتمع الانسانى الحديث ثلاثة أمور تخل بالتوازن

(١) من الوجهة الاقتصادية

لقد هجم النساء على عالم العمل كالسيل العرم . فقد كان عدد العمال الذين يشتغلون بأذرعتهم وبأدمغتهم فى فرنسا سنة ١٨٦٦ ٠ ٤٠٠٠٠٠٠ وفى سنة ١٩٠٦ أى بعد ٤٠ عاماً لم يزد فى خلالها عدد سكان فرنسا شيئا مذكورا بلغ عدد العمال ٧٠٠٠٠٠٠ والملاحظ هنا أنه بينما كان عدد العمال من الرجال يزيد بنسبة ٢٤ ٪ كان يزيد عدد العاملات بنسبة ٦٥ ٪ ٠ ولوحظ من أشغال العاملات بالصنائع الدقيقة الصعبة المراس القليلة الأجر ، أن

الدافع الوحيد الذي يلجئهن الي الدخول فى مضمار العمل لم يكن سببه الا لاضطرار الاقتصادى وأن ٤٠٠،٠٠٠ من هؤلاء النساء مضطرات للعمل لكسب أقواتهن لانهن متزملات أو مطلقات . وغير هؤلاء من النساء يلجأن الى العمل لأن أزواجهن لا يكسبون الا الكفاف من العيش أو لانهم مدمنون على الخمر ينفقون فيها جزءاً مهماً من أجورهم . ولقد أصبحنا الآن فى زمن ليس لمشلى (Michelet) أن يقول فيه « ان لفظة عاملة تقع على أذنى كأنى أسمع أشياء مزعجة غريبة »

فنتيجة هذا كله أن أجر المرأة نزل نزولا عائلا ولم يكن بد من هذا النزول ، لان جماهير من النساء تدفعها الحاجة الي العمل لكسب العيش يوماً فيوماً وبأى أجر فأصبح أجر المرأة ٦٠ ٪ من أجر الرجل لنفس العمل . ومن هذا لم تكن النتيجة الوحيدة أن الاجور نزلت فقط ولكن العمل انتقل أيضاً من يد الرجال الى يد النساء . وكثير من المعامل التى كان يديرها الرجال أصبح كل عمالها من النساء (مثل معامل القطن والصوف والحرير والاقمشة وغيرها)

وقد عارضت نقابات العمال بشدة فى دخول النساء الى مضمار العمل وقاومتها بالقوة ولكنهم اضطروا الى العدول عن هذه المقاومة لعدم انتاجها ، سيما وأنه بتقدم الزمان تتغير الاجواء الاقتصادية وتتقدم الميكانيكا والآلات فيقل الاضطرار الى ذراع الرجل وقوته الجسمانية فى العمل . وهكذا تعمد الرجل ألا يهتم الا بشأن نفسه واغفال شأن أخته المرأة فكان تأثيره فى ذلك عظيماً بما يأتيه من الضغط على التشريع العملى والتدخل فى الشؤون العامة ناظراً الى المرأة نظره الى العدو المزاحم لا نظره الى

أخت يجب عليه أن يرفعها الى مستواه فى الحياة ويضمها الى نفسه جنباً لجنب. ولكن هذه المرأة التى ظن أن فى مقدوره استعبادها وعزلها أصبحت تؤثر على مركزه بما تأتيه من المزاحمة وما تستتبعه هذه المزاحمة من نقص الأجور على العموم . وبدلا من أن يتفقا بشكل انسانى أخوى أصبحت المزاحمة شديدة بين الجنسين فى عالم العمل .

وهل يظن الآن أن الرجل قد كسب شيئاً مذكوراً ؟

ان هذا الاخلال بالتوازن يجده الانسان ظاهراً أيضا فى :

(٢) الحياة الأدبية والعقلية

وفى هذا المضمار أيضا وبادارته وحده قرر الرجل أن يكون مستواه الادبي أعلى من مستوي المرأة وبالاخص رجال الثوره الفرنسية المتسمة عقولهم بالقانون الرومانى . وقد اتفق فى هذا روبسبيير (Robespierre) وميرابو (Mirabeau) الذى قرر أن المرأة (كائن وضيع لطيف : اذا أحسن تنظيم الحلة الاجتماعية يجب عزله الى الوظائف الدنيئة) على أن كندرسيه (Condorcet) نبه الى الخيطه والانتباه لان « عدم المساواة بين الجنسين مضرة للفريق الذى يظن نفسه قويا ويمكنه الاستفادة من الآخر » وهذا ماقرره ستيورت مل (Stuart mill) بشكل أوضح حين قال « ان العبودية تتلف الرقيق أقل مما تتلف السيد »

واننا نرى لهذا فى المجتمع الحديث نتيجتين أولهما سلبية . وهى أننا تميزنا نوعا على النوع الآخر نكون قد حذفنا العوامل التى تدفع الى المزاحمة فى النصف الآخر من الامة وهذا أول خطأ .

وهناك نتيجة أخرى ايجابية أذكى وأشد خطراً هى ايقاظ الميول

السيئة الكامنة فى لباب الرجل التى تمو وتنقلب الى فساد نفسانى وأنانية واعتقاد بحق الاقوى . ماذا يمكن أن يظن طفل يرك تدعو الى نظرية تعمل أنت ضدها ؟ انه لايلبث اذا تقتنا أن المخلوقات الانسانية يجب أن تكون حرة متساوية ومحبة بعضها لبعض ، أن يرى ما وضعت تحت نظره من أن الامة نصفها خاضع للنصف الآخر ، وهذا أول درس من دروس النفاق يرتسم فى ذهنه . ولهذا يشكو الفرنسيون من أن روحهم متعلقة بالمنطق وبالطرق العلمية لان العوامل الاخرى التى تصلح هذه الروح غير موجودة مثل التجارب المتوالية المؤدية الى الانتاج الفنى . وقد وصل الناس بهذا الى أن يخلقوا عند الازواج (وبالاخص الطبقات المتوسطة) فكرة أفضليتهم على نسائهم ، وهذا خطأ منتشر فى كل بقاع الارض . وهو مانبه اليه برنارد شو (Bernard Shaw) فى رواية كنديدة (Candida) حيث يري الانسان زوجة صالحة لرجل صالح ساذج تنبهه بطرق مختلفة الى أن حياتهما اذا كانت مستمرة بشكل حسن منذ سنين عديدة فذلك راجع لها وهي العاملة على قضاء المصالح . وأنه اذا كان الرجل قد حاز فخرا وامتيازا فى نظر الناس فهي قد قامت بالواجبات التى لافخر فيها وأضافت وهى تبتسم ابتسامة حزينة أنه ، اذا كان هناك مايعطى فى المنزل فأنت الذى تعطيه واذا كان هناك مايرفض فأنا الذى أرفضه ،

وفات الناس عند مايرون ساعة عمومية عظيمة تترك عقاربها الكبيرة بشكل غريب أن يعلموا أن هذه العقارب المتحركة الظاهرة هي الرجل وأن الآلة المختبئة التي تحركها هى المرأة . فالرجل هو الذى يتحرك ويعمل فى الظاهر ويراه كل الناس . وهى التى تنظم في الخفاء هذه

الحركات وتعطيها روحاً ومتسكناً . فالرجل هو الذى يخلق الحياة والمرأة هي التى تؤكدها وتجعلها دائمة . فكل ما نرى فى مجتمعنا الحديث من الخطأ والجور وفساد الانظمة يرجع أصله الى غمط حق المرأة فيه ولا ينبغي لاحد أن يعجب من مجتمع كله أخطاء اذا كان يديره نصف واحد من الروح الانسانية

(٣) فى الحياة الاجتماعية

الاسرة أول عناصر الحياة الاجتماعية . واذا قررنا أن التطور لازم لها فيجب ألا تحل فجأة ويجب ألا يخرب المنزل قبل أن يبنى الانسان غيره ولكن الاسرة الحديثة تحل روابطها القديمة وتتلاشي

فمن خمسين سنة فى أوروبا كان الرجل والمرأة من الطبقات المتوسطة شديدى التماسك في الجهاد للحياة فاذا كانا يعيشان من الزراعة كان الرجل يعاون المرأة فى الاعمال المنزلية وتعاونه هى فى الحقول واذا كانا يعيشان فى المدن كنت تجدهما فى حانوت واحد . ولكن البخار والكهرباء اكتشفا وكثر استعمالهما فظهرت للرجل أعمال اختطفته من منزله الهادىء الى مكتب أو معمل وانتقل من عالم كان يشارك فيه زوجته الى عالم آخر أكثر اتساعاً وأعظم مشغولية

وكذلك كانت هذه المكتشفات العلمية وهذا التقدم الكبير سبباً فى أن المرأة خرجت عن مشاغلها القديمة . وانك لا يجول بخاطرك الآن أن تنزل الصرف لتجعل منه لنفسك لباساً حين يمكنك أن تشتريه جاهزاً بثمن أرخص . وأن من العبث أن تمضى سيدة نصف يومها فى تجهيز المربى مثلاً متى كان من المقرر أن يشتريها بثمن أرخص مما يكلفها شراء الفاكهة والسكر .

فالنساء يجذبهن الى الخارج نفس القوانين الاقتصادية التي سار عليها الرجل من قبل . ولما اصبحت أعمال المنزل غير منتجة وقليلة بالنسبة للرجل خرجن للحياة الخارجية يطلبن حريتهن الى جنب الرجل . وان من العيب أن يمنع الرجل المرأة من أن تتخذ لنفسها الوسائل التي تلائم حياتها طبقاً للتصورات الاقتصادية بعد ان سرت هذه التصورات على الرجال .

ولكن الرجل دائما ينادي بان الاسرة في خطر ولا يكاف نفسه عناء في ايجاد دواء لهذا الخطر المزعوم . وكثير من الناس يقول للمرأة « ان مكانك في المنزل ولاجله خلقت ولقد سلمناك أعز ما لدينا : أمانة الجنس المقدسة فاحتفظي به واسهري عليه » وبعد أن يتكلم الرجل بهذا لا يسعه الا يتركها ليبحث عن صوالحه أو ملذاته .

ان من المقرر أن الاسرة تتدهور لان المرأة التي هي حجر عقدها ضعيفة عزلاء وأن الطريقة الوحيدة لتثبيت الاسرة وجعلها متينة العرى هي أن يرد الى المرأة كرامتها وحقوقها . ولهذا اذا طلبنا للمرأة ما للرجل من الحقوق السياسية لا تكون أعداء الاسرة ولا عاملين على هدم كيانها بل أصدقاءها الذين يريدون لها الخير .

فالمرأة بدون شك هي التي تكون الجزء الاكبر من الأسرة فهي الاكثر احتياجا الى المجتمع والى المساعدة المادية والادبية والعطف واليها يرجع الفضل في ان الاسرة محبوبة عزيزة ويكفي ان نقول للتدليل على هذا انها الام واذا تألمت الاسرة من أن المرأة ينظر اليها كانها أحط من الرجل فان المجتمع يتأثر ايضاً بهذا النظر ولقد قال توكفيل Toequeville منذ اكثر من ستين سنة « أن المجتمع الحر لا يعيش بدون أخلاق وهن اللاتي

يكون الاخلاق. واذا كان هذا مما لا شك فيه فهو ليس كذلك الآن

ولما كان مظنونا أن المرأة قليلة الكفاءة استبعدت آراءها ولم يؤخذ بها فكانت النتيجة أن انتشر الادمان على السكر والفجور في بلاد أوربا

وليست هناك بلد في العالم أمكن أن يزول منها الادمان على السكر أو تخف وطأته بدون مساعدة المرأة مثل ذلك السويد وأمريكا واستراليا. وكثير من الاطفال يهلكون لان أمهاتهم لا يقدرن على اقامتهم. وأن البؤس وسوء الحالة الناشئين عن التشريع الانانى يقع حمل المسئولية فيهما على الرجل

اذا نظر الانسان الى الحالة الاقتصادية والادبية والاجتماعية، فوجد في ثنايها بؤس المرأة وشقاءها فانه يجد أيضا أن ظلم الرجل عليها قد انقلب الآن عليه ورد سهمه اليه

فلاجل أن ينقذ وطنه واسرته ونفسه عليه أن يترك جبروته وأنانيته وأنفاءه وأن يرجع الى العدالة والعقل والانسانية ولقد كانت في العصور الاولى مجتمعات مؤسسة على تدرج الطبقات حيث كان يعيش كل النساء وكثير من الرجال فى رق كلي أو جزئى. اما اليوم فان الاكتشافات العلمية تقدمت فى العالم بحيث أن التزاحم الاقتصادى والديمقراطية الحديثة لا يمكن أن يكونا ويتقدما ألا بتقدم جميع عناصرها ولا يتقدم الا المجتمعات التى تعرف كيف تنمو فيها القوى الكامنة منها كيفما كانت طبيعتها أو وسطها أو جنسها

ولهذا يمكننا أن نؤكد انه ما يكون من البلدان آخرها فى أعطاء حق التصويت للنساء لا يكون جاحدا للجميل فقط ولكنه يكون آخر البلدان وصولا الى الفوز فى مضمار التقدم الاقتصادى أيضا

حنيفة مفتى ناصف